الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية الآداب واللغات

قسم دراسات

نقدية

ألفاظ الحزن في شعر السجون

(زنزانة العذاب 73) مفدي زكريا

مذكرة معدة ضمن متطلبات نيل شهادة الليسانس في الدراسات النقدية

إعـــــداد:

- ✓ غربي ليلى
- ✓ بن تيشة وجدان
- ✓ زنينة شيماء
- ✓ تامة نور الهدى

إشراف الدكتور:

كرباع علي

السنة الجامعية: (1441 – 1442 هـ / 2020–2021 م)

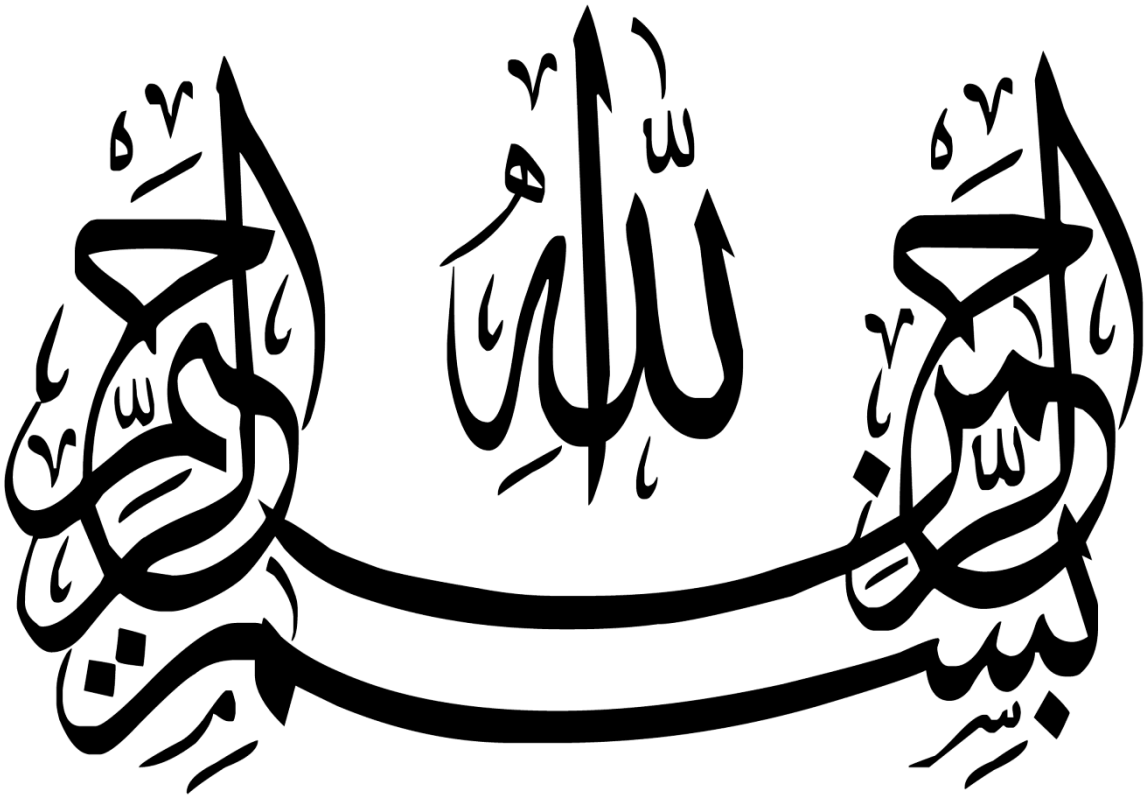
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

قال تعالى :" لئن شكرتم لأزيدنكم " إبراهيم 7.

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: "من لم يشكر الناس لم يشكر اللّه " أخرجه الترمذي .

أولا الشكر للمولى سبحانه وتعالى الذي أمدنا بالسمع والبصيرة والعقل والجهد والصبر، ويسر لنا السبل ومهد لنا الطريق للوصول إلى هذه المرحلة وأعاننا على إنجاز وإتمام هذه المذكرة .

كما نغتنم هذه الفرصة لنتقدم بخالص الشكر والاحترام إلى أستاذنا ومشرفنا المتواضع "علي كرباع " على مشاركته لنا وتحمله معنا مشوار العمل والبحث وتذليل الصعوبات برحابة صدر طيلة انجازنا هذه المذكرة ،نسأل اللّه التوفيق والسداد في حياته العلمية والعملية .

كما نتقدم بعظيم تقديرنا، وخالص محبتنا إلى آبائنا وأمهاتنا الذين شجعونا وساعدونا على طلب العلم، وغرسوا فينا حب الدين في قلوبنا ،فإننا نتضرع إلى اللّه العلي القدير أن يبارك في أعمارهم ،ويجازيهم خير الجزاء وان يختم لهم بخاتمة السعادة .

وجدان شيماء ليلى نور الهدى

مقدمة

مقدمة:

لقد عرفت العصور القديمة والحديثة طاهرة السجن بكثرة خاصة كون العلاقة التي تربط السجن بالعمل الأدبي والإبداع الفني ما جعله يتسبب في سجن الأدباء ورميهم وراء أسوار السجن فكان أدب السجون في الادب العربي القديم يمثل واقعا متميزا ينفرد بسمات ومعطيات خاصة تميزه عن غيره. فوجود السجن كظاهرة قديمة دليل على أنه ظاهرة عامة لها خصوصياتها ،فكان ها الموضوع كونه متميز عن غيره من الظواهر محل دراسة خاصة لكثرة الحروب والأحداث والثورات التي تقوم في الوطن العربي وعليه فكان اغلب نتاج ادب السجون شعر وهذا راجع لما يحمله السعر من خصائص غنائية معبرة وهذا ما لا يحويه النثر.

وهذا ما دفعنا لدراسة هذا الموضوع الذي جاء بعنوان " ألفاظ الحزن وأبعادها " من خلال قصيدة زنزانة. العذاب كونه موضوع قلت فيه الدراسة ما جعله يتمتع بالجدية وكذا كونه يعكس الأحداث التاريخية المهمة التي مرت بها الجزائر في فترة من الفترات ،كما اتضح لنا أن للموضوع خلفية إنسانية اتسمت بالثنائية في صراع الشاعر من أجل الحرية فهو تارة يستبديه القنوط وتارة يحدوه الأمل فضلا عن أن شعر السجون انعكس على حياة الشاعر النفسية والفكرية

ورغم الأهمية التي يحملها موضوعنا هذا إلا أنه موضوع حديث لم يجر النظر إليه إلا في وقت متأخر ، فهو عبارة عن رسالة هادفة حيث أصبح السجن متبعا للتعبير عن المشاعر وكانت زنزانات السجن بمثابة مركز حل فيها الشاعر وأخرج نفسه إلى نور أضاء به جانب من جوانب نفسيته المرهقة عن طريق ألفاظ دلت على الحزن الذي ساد حياة الشاعر وهوبين احضان السجن والتي عبر من خلالها معن ما يحمله في صدره من آلام ومعاناة فخرج بها إلى أبعاد ودلالات أخرى موجهة إلى المتلقي وهنا جاء دورنا إلى اكتشاف هذه الدلالات وإبراز أبعادها ومن خلال ما سبق طرحه يمكن الخصيه في إشكالية مفادها

-ماهي الابعاد الدلالية والفنية لألفاظ الحزن في قصيدة "زنزانة العذاب"؟

-ماهي الابعاد الجمالية والبلاغية لألفاظ الحزن في قصيدة "عذاب الزنزانة"؟

هذه الإشكالية فرضت علينا أن نقسم بحثنا هذا إلى فصلين تطبيقيين فصل الاول والذي شمل (الأبعاد الفنية والدلالية) والذي سبقناه كمدخل صغير تطرقنا فيه إلى التعريف بشعر السجون وتطوره عبر العصور ،والفصل الثاني والذي تطرقنا فيه إلى دراسة الأبعاد (الجمالية والبلاغية) تتصدرهما مقدمة ،وختمناها بخاتمة والتي جاءت عبارة عن حوصلة لأهم النقاط المستخلصة من الدراسة.

وككل البحوث فقد واجهتنا جملة من الصعوبات خلال اعدادات لهذا البحث أهمها : ندرة المراجع المتعلقة بالموضوع إضافة إلى عائق "جائحة كورونا " التي كانت السبب الأول والرئيسي في عدم قدرتنا على الإلمام بالموضوع حق الالمام .

ونذكر على أننا اعتمدنا في إعدادها لهذا البحث على جمة من المصادر والمراجع أهمها : ديوان "اللهب المقدس" لمفدي زكرياء وجملة من المراجع مثل كتاب : أدب السجون وأثرها في الآداب العربية ل "واضح سمد"

وفي الاخير ليس لنا إلا أن نشكر الله على توفيقة لإكمالنا البحث ونرجو أن يكون هذا العمل في فائدة الطالبة وذخرا لمكتبة الادب العربي

الفصل الاول

الابعاد الدلالية والجمالية لألفاظ الحزن في قصيدة "زنزانة العذاب" لمفدي زكرياء

تمهيد:

قبل أن نبدأ في تحليل وإبراز الأبعاد التي تحتويها ألفاظ الحزن في قصيدة زنزانة العذاب لمفدي زكرياء وجب علينا اولا ا تبيان الصنف الذي انتمت إليه هذه القصيدة والى أي نوع من الشعر تنتمي، فالشاعر مفدي زكرياء عرض علينا ديوانه هذا من وراء جدران السجن وبين احضان الزنزانة التي قيدت حريته ومنعته من أهله وأحبته فما كان له غير ام يبدع بكلماته والفاظه في الكتابة والتفنن بتحضير قصائد لها معاني ودلالات منطوية تحتها ،فعبر بها عن كل ما يحمله من آلام وقهر وعن كل ما يعيشه من عذاب وتعذيب من طرف المستمر العدو

من خلال ما سبق عرضه يمكن القول إن سعر السجون ميلاده السجن ،والسجن عرفه الإنسان منذ ان استوطن الأرض ثم تطورت بتطور الحضارات ورقي المجتمعات تبعا لتغير الظروف والافكار وسنتعرض قبل بدانا في الدراسة التطبيقية إلى إبراز العصور التي تعرض قسم من شعراءها لعقوبة السجن والأسر ،ومختلف انواع التعذيب ،وجاء على ألسن هؤلاء كثير من الشعر الرائع في وصف السجون ووصف آلامهم ومعاناتهم وحنينهم إلى الحرية والأوطان وفي التعبير عما يخالج نفوسهم من أحاسيس وتأملات ،فترى أن شعرهم صادق نابع من نفس متألمة ،فكان الشعر عند هذه الفئة وسيلة للترفيه عن أنفسهم ،بعدما كان وسيلة لإيصال معاناتهم الى من يتمتعون بالحرية والمتحررين من القيود التي قيدوا بها هم.

مفهوم شعر السجون:

سعى الأنسان الى وضع قوانين خاصة عامة موجودة لحماية نفسه أولا ومصالحه ثانيا، وقبلت السجون المراكز القانونية الى تعهد الى تطبقها على هذا العزاء فهي النتيجة القانونية السلبية لسلوك معين يسلكه المخالف ويخرج به عن قاعدة قانونية أو شرعية.

مفهوم الشعر السجون: شعر السجون فهو الذي وله في عتمة وظلام الجدران هو شعر نعبر من الجدران والمرارة ومن هموم ومصائب الشاعر السجين التي لا تبارح المخربة بها سير الوجع والألم وشعر السجون هو يمثل الصورة من الصور الجادة بالقلم والبدن ومقلم من معالم الأصالة و في ليالي الاستعمار لأنه يلتزم بقضايا الوطن والأمة والمجتمع والدافع عن مقاومتها في سبيل التحرر بروح الايمانية وتصور اسلامي وسياله استشهادية[1].

فهو ذاك الشعر الذي ينضم عذاب الشاعر الذي عاش غياهب القلم والاسر والقهر والألم ومعاناة وهو موضوع هذا الشعر هذا السجن وما يتصل به ولا يختلف المواضيع والمفاهيم التي تطرقت وتجسدت شعر ومفهوم السجون وقد قيل أنه: الوصف الدقيق لحياة السجون في المختلف العصور الذي مر بها أقوى الالوان شعرية والتأملات من الشعراء والأدباء والكتاب والنقاد فمازالت اصداء القيود تخترق جدران السجون التزامي الينا وتصب لنا في اعماق فتحرك الكوامن المستوقة الى وللوج السجن[2]

الشعراء السجون عبر التاريخ: اسرعت فكرة انشاء السجون في العالم الحياة الاجتماعية وملاستها ونشأت مع اجيال شتهرة خاصة الطبيعة الاجتماعية وفلسفية الحياة وكما كان السجون مؤلمة في التاريخ العرب ضاربة في جذور حياتهم السياسية والاجتماعية وقد اثرت كذلك في لغتهم وصور أدبهم حيث مر الأدب العربي على الاختلاف عصوره بتجربة السجن ومرارة الاعتقال وثمة الكثير مما كتبه المبدعون العرب في الأسر حيث أمضوا أياما **الشعر السجون عبر التاريخ:**

وشهورا وسنينا في غياهن السجون وخاضوا التجربة بمرارتها وقساوتها وجاء على السنتهم الكثير من الشعر الرائع الذي الوصف السجون وصور أوضاعها ولعل ما يلاقيه الشاعر بين ذلك الجدران الباردة منظلم وقهر وحرمان هو السبب في ايقاظ ملكته فجاءت الشعرية بأروع الكلام فصار السجن عاملا قويا في تركيز الشعر اعلاء قيمته وارساء مبادئه لذلك فقد كان موضوع السجون جانبا مهما من الجوانب الذي عالجها

[1]- سالم معوش، شعر السجون في الادب العربي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص23

[2]- المصدر نفسه، ص24.

الأدباء والشعراء والمفكرون ولا يخل اي عصر من العصور الأدبية العربية من شعراء سجنوا الأسباب مختلفة[1] وبالعودة الى التاريخ الأدب العربي القديم نجد ان الشعر السجون موجود الحين

1- العصر الجاهلي:

لاشك ان الاستقراء الشعر الجاهلي يكشف لنا عن العديد من القصائد المنظومة داخل السجن اذا لم يعرف عند العرب منذ الجاهلية سجون مخصصة لهذا الغرض فالمعاقب أو السجين كان يحتجز حسب ما توفره الظروف أما في خيمة أو في دار أو في مكان للحبس فان المفهوم المعنى له كان حاضرا أو يبرز ذلك خاصة في أشعار السجناء الجاهلي فمن من هؤلاء الشعراء وما في الحصيلة الأدبية وماهي الحصيلة الأدبية من تلك السجون

أ. عدي بن زيد العبادي:

عدي بن زيد البغدادي التميمي شاعر فأصبح من الشعر الجاهلية حيث كان حيث كان نصرانيا من أهل البحيرة اتقن الفارسية والعربية وكان أول من كتب بالعربية ديوان كسرى وأشتهر عدي عند كسرى حتى صار النعمان بن المنذر ملكا على البحيرة ثم أوقع بين عدي و النعمان الذي قبض عليه واودعه السجن[2]:

فجعل عدي يقول الشعر وهو في الحبس ومما قال:

ليت الشعري عن الهمام ويأتيك * بخبر الأنباء**

ليت أبي اخذت يكفي* ولم ألف ميتة الأقتال[1]**

محلو محلهم لصرعتنا العا*م فقد اوقعوا الرجى بالنقل**

يوجه عندي كلامه الى الملك النعمان مشير الى أن الجواب الصحيح بعد طرح السؤال وكأنه يلمح الى انه اودع السجن دون اي تواجه له اي تهمة ومن دون ان يتاح له الوقت للدفاع عن نفسه ثم يتمنى لو أنه انتحر قبل أن يعرف أنه سيلقى في السجن ميتة الأعداد وقال أيضا:

أرقت لمكقهربات فيه* يوارث يرتقي رؤوس تسبب**

تسعى الأعداد لا يألون شرا* على رب مكة والطب**

أرادوا كي تمهل عن عدي* ليسجن أو يد هذه في القلب**

---

[1]- نجوى الحيدري، شعر السجون، 2001/9/16.

[2] – نقلا عن: واضح الصمد في كتابه السجون واثرها على أداب عربية، ص10.

[1]- ابو الفرج الأصبهاني، الأغاني مصوره عن دار مكتبة مؤسسة وطباعة النشر بيروت، (د:ط) (دت) ص110.

الا من مبلغ النعمان على* وقد تهدي النصحة بالمغيب**

أنها[2] القصيدة استعطاف يوجهها عدي من سجنه الى الملك النعمان وقد تتمنخا تذكير للملك بمساعدته له يوم استعد عليه المنافسون

: هو عمر بن بن وائل بأشعر الشعراء بعد امرى القيس قال الشعر وهو مخبر وهو ابن سنة وكان مع الملك عمرو بن هذه بسبب هجائه له لكن جل قتله قام بسجنه ولطرده شعر يسمح اليه وهو في السجن:

امامي قومي ولم به* لمؤدلهم**

من خليل كنت حالته لا ترك له واضحة

علمهم أروع من يغلب* ما أشبه الليلة البارحة**

صعدا كان طرقه أقبل من أن يسجن وفي سجنه أصغر أكثر لذلك يقول ما أشبه الليلة البارحة انما تلك الوحدة تختلف عن تلك لأن حرية مفيدة وحياته مهددة فهو مضطرب حاقد فاقم على أهله الذي خذلوه و لم يثور لأجله وما سبب اليه وهو في السجن يخاطب عمرو بن هشام

ألا اعترلني اليوم ياقول أوغضني فقد نزلت حدباء محكمة الغض

ايا المنذر كانت عزورا صحيفتي و لم اعطكم بالطوع مالي ولا غرضي

خذوا حذركم اهل والصداء وعييدا سدو القرص يجري فرض

ب. البراءة بن القيس:

البراءة بن القيس بن الحارث بن الملك كتمة يوم الكلاب الثاني تعرض للأسر أسرء الأهم وهو سنان بن منفر حيث قال في روجته حدقة وهو محبوس عند كسرى أو شروان يقول:

بادرا حذفه باللوى فالمجدل* فجدوب أسمه فقت**

بل لا يغرك من قليل صالح ان لم يلاقك بعد عام الأول**

كانت اذا غصب على نظمت واذا كرهت كلاهما لم ينقل واذا رأت لي جنة عملت لها ومنى تعني بعلم شيء سأل[1]

[2]- نقلا واضح الصمد السجون واثرها، ص110.

[1]- محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء ق.ش محمود محمد شاعر (مطبعة المدني)، القاهرة، ج19، (دت)، ص54.

هذه القصيدة كتبها وهو في السجن بعيدا عن الأهل وتعرفي وحدته القاتلة استعصب لديه ذكرى زوجته فخاطب دارها وامعا اياها قصورها بصورة المرأة الحكيمة العطوف التي تشارك زوجها عواطفه وأحاسيسه وأفراح وأفراحه ومشاغله وهمومه[2]

والسؤال الذي تطرقه هنا هل هذه الصورة التي تصورها الشاعر عن زوجته هي نفس الصورة التي كانت في قبل السجن ام أن السجن هو الذي هبج نفسه وانار مشاعره لنا هذه الصورة والجواب هو محنة السجن وشعور بالوحدة و عن المرأة كل ذلك كان باعنا في تحريك مشاعر الشاعر فجاءت صورتها في مخيلته فالإنسان لا يعرف قيمة الشيء الا اذا فقده

2- شعراء السجون في صدر الاسلام والأموي

ان الشريعة الاسلامية الذي شيعة اليه السجن من القران الكريم والسنة ثم الاشهاد ولعل ابرز مبادئ هذه المدونة هو القصاص بعد ثبوت الادانة لذلك لم تكن هناك حاجة ماسة الا للمخالفات التي لم تضع لها شريعة جدا كما ان الخمرة كانت سببا مهما كان الى دخول السجن في صدر الاسلام زمن الخلافة الاسلامية وتميزت سجون بني امية بالكثرة والتنوع سببا تزايد الخصوصيات السياسية وا والمذهبية سواء في عهد معاوية وزيد وقد سجن الكثير من الخوارج والعلويين وتوالي بالسجون معارضين في الولادة بعدها الى ان بلغت العناية بالسجون استبدها في عهد الحجاج بن يوسف القفي الذي على بناها وتقنن في تنظميها ونسبت اليه سجون كثيره وهؤلاء اهم شعراء هذا العصر.

أ. ابو محجى الثقفي:

ابو محجى عمرو بن عمير من الطائف شاعر محضرم فارس شجاع لم اسلم اهله اسلم معهم لكنه لم يترك شرب الخمرة ولما كثر شربه أقام عمر بن الخطاب علبة المدفن فان الى جزيرة يقول لها خضوضي لكن شاعرنا هرب من منفاه على الساحل البحر ولحق سعد بن ابي وقاص الذي كان يقاتل العجم يوم القادسية وكان ابو محجى محبوسا معلولا في اسفل القصر الذي كان يقيم فيه

هو الحكم بن عدل بن جيلة بن أمية من خزيمة الشاعر مجيد كان أخرج من شعراء الدولة الأموية وكان للحكم يحمل لأنه معقد وأبو حلبة لأنه اعمى صاحب العسعس بالكوفة فحسبهما فلما استقرا في السجن نظرا لحكم الى عضا ابي عليه موضوعه الى جانب عصاء فضحك وقال[1]:

[2]- ياقوت الحمري، معجم البلدان، دار صادر بيروت 1977م، ص57.

[1]- ابو فرج الاصبهاني، الاغاني مصور- عن دار الكتب مؤسسة الجمال الطباعة والنشر بيروت (دط) (دت)، ص110.

حبسي وحبس ابي عليم من احاجب الرمان

اعمى بقاء ومقعد لا رحل منه ولابد ان

هذا بلا بصر هنا ك وبي لكن الحاملات[2]

ب. الفرزدق[3]

وهو همام بن غالب بن صخصة من دارم من تميم كتبته أو فراس ولقبه الفرزدق ولد بالبصرة وترعرع في باديتها نظم في الفخر الذي كان اساس في هجاءه شعره جزلا قحما وعن جدير انه قال نبعة السقر الفرزدق ولقد حبس الفرزدق حينما هجأ نمرا الأمير المؤمنين بقوله اهلكت مال الله في غير حقه على نمرك المشؤوم وغير مبارك لكنه عندما اودع السجن ورأى الغصب ما لك له كان الفرزدق حين وهو في السجن فصار يقول القصيدة فلة الاخرى فمدح مالك حيث قال

وقرم بين أولاد المعلى* وأولاد في الصب اللهام**

3- شعر السجون في العصر العباسي

عرفت مؤسسة السجن في هذه الدول المتزامنة الأطراف الموجودة الأسباب النهوض في شتى مجالات الحياة تطورا ملحوظا وقد عرفت مزيد من الضوابط والتنظيمات هذا ما يفسر

السجون في هذا العصر حيث سجين الجرائم وسجن الزنداقة وسجن القرار على الحكم ..الخ

والدارس للأحوال العامة في هذا العصر يلاحظ نمو ظاهرة السجون وكان لشعراء العصر العباسي دور في نمو الظاهرة التي كان لها نصيب كبير من الشعر وفي العصر العباسي نجد الى أربعين شاعرا سجنوا لأسباب مختلفة

وكثيرا من هؤلاء الشعراء عن وظف شعره في تشخيص أماله وآلامه وسنتطرق الى بعض الشعراء الذين صورا محنة السجن والأسر ومن بينهن بذكره

أ. أبو فراس الحمداني

فارس أحد من فرسان الشعر عاش حياة الغريب وكل في الحنين الى الوطن وذلك كان فارسا شجاعا كريما وفي احدى الغزوات التي كان يقوم كما اسر ابو فراس وبقى سجينا يعاني فهو معناته في شعره الذي عرف

[2] – طرقة بن العيد مهدي محمد ناصر الدين ديوان طرقة بن العبد، دار الكتي لعلمية بيروت– لبنان ط3، 1423ه

[3] – الفرزدق دار صادر بيروت ط1 1427ه 2006، ص291.

بالرومنسيات[1] ذلك هو البطل الفارس البطل ابو فراس الحمداني توفي 357ت وهو ابن عم سيف الدولة ولعل اصدق ما جاء في شعره الوجداني ال وهو في الأسر عنه

ويستخرج على بعض هذه القصائم واشهرها هي قصيدة الحمامة البائية التي يقول

- هل تشعرين ان أقول قد قامت يكوني حمامة ابا جارتي

- بحالي؟

كعاذ الهوى؟ ماذقت طارقة النوى

- ولا خذرت منك الهموم ببال انحمل محزون الفؤاد قوائم

- على غص تأتي المسافة عالي

أبا جراتي ما انصف الدهر ينبنا تعالى اقسامك الهموم

تعالي[2]

القصيدة تعبر عن حالة من النجوى والوجد والحنين وشعور عاد بالضعف والهزال وشدة اخلاقي الشاعر وصفة فيما يقوم جاءت معانيه نفسية المباشرة احاطت بنفسية وسيطرت على وجدانه وجعلته بنظر الى مالم يلم يه العالم الخارجي نظرة خاصة مرتبطة ارتباط حميميا بواقعه ونفسه لهذا نراني الشاعران الحماسة الغصن ناني المسافة عالي فالمباني والعلو هما صورتان من الصور الخلو النفسي تولد من حسرة الشاعر على الحرية.

4- شعر السجون في العصر الأندلسي

اتخذت الدولة الاسلامي السجون كغيرها من الدول للحاجة الى ايقاع العقوبة على من سيتحقها أو كان لكل مدنية من هدف الأندلس سجن عام سينسب اليها السجون نصيبا كبير للشعراء ومن بين الشعراء عدد لا يحصى من كبار شعراء الأندلس وأداءها من أمثال: بن الحكم الغزال ابن الشهيد المعتمد بن عباد ابن حزم الأندلسي ابن زيدون وقد تمنع بعض هؤلاء وغيرهم في سجونهم ببعض امتيازات ومنها مزية اتاحة أدوات الكتابة مما يساعد في حفظ الكثير مما نظموا في سجنهم وقد حفظت لنا دواوين هؤلاء الشعراء أو كتب التراث العديد من القصائد والمقطوعات الشعرية التي قالها الشعراء السجناء في تجربتهم وكان جزء كبير منها في غابة الرقة الأن التجربة كانت قاسية وصرة فكانت أشعاره صادقة في التعبير ويبقى العصر الأندلسي مثل باقي

[1]- الجدوري، والغريب في شعر العربي، ص123.

[2]- ابو فارس الحمداني، ديوان تحقيق يوسف شكري فرحان دار الجيل، بيروت، ط1426،3، 2005، ص267.

العصور والذي عاش شعراء وبلات السجن وكبت للحريات فمن هؤلاء الشعراء وكيف كان شعرهم الذين نظم في السجن

أ. ابن زيدون

يعتبر الشاعر ان زيدون من أبرز الشعراء العصر الأندلسي فهو من بين الشعراء الذين تعرضوا للسجن فجاءت دواوين مملوءة يمدحن السجن والألم الغربة والفراق فهو الذين عان هول وويلات السجن فكل ما تحمله لفظة المعاناة من معاني الألم والشقاء والعذاب ويقول في هذا الصدد

لا يهنئ الشامت المرتاح خاطره اني معنى الأماني ضائع الخطر

هل الرياح بتجه الأرض عاصفة* أم الكسوف لغير الشمس والقمر؟**

اذا طال في السجن ايداعي فلا عجب* قد يودع الجفن حد الصارم[1]**

ان السجن عند أحمد سحنون صراع بين ماضا وحاضر مؤلم يصارع فيه الويل والأسس باللوم على زمانه لما ألحق به من الاساءة ورغم هذا الادعاء فان سحنون يبدو في سجنه منفردا متميزا عن الشعراء الأخرين بإحساس الصادق من سلوكه ونظرته للحياة فعندما ما تلفه مجاهير السجن يتحول الى الأصدقاء ويلقي اليه بهمومه[2] حيث يقول

أصحي يا الأوداج لعناق الظوب والأرواح انشده لطلوع نجم من الصحب نشيد السرور والارتياح ليست كالأصدقاء في الخطب والأيام بأصدقاء جد شجاع[3]

كما نستطيع أن نقرا شخصية أن نقرأ شخصية أحمد سحنون الحقيقة من خلال قصائد المعاناة التي تعبر بصدق عن عرشه بين جدران السجن في قصدتيه يا لها غربة حيث تبدو هذه النفس غريبة في وطنها مؤثقة في سجنها تطاق اليه قسوة الجلاد فيقول:

يا لها غربة عن الأوطان بذهن ماء من الأشجار غربة طوعان بنفي وسجن وتناهت بقسوة السجان مثل فيها فكري وأجدب الهامي وأودت بحمتي وبياني وقريضي قد عفني وتلاشى بين جدرانها صدى ألحانها[4] والذي

[1] – المصدر نفسه

[2] – عمر بوفرورة الحرية، والحبس في الشعر الجزائرية، ص100.

[3] – المصدر نفسه، ص105.

[4] – أحمد سحنون، ديوان– الشركة الوطنية لنشر وتوزيع الجزائر 1975، ص77.

يؤلم الشاعر في سجنه تلك الحياة الجامدة التي يحياها بين جدران السجن فهو الواعظ المعلم الفاقد لكن يأتي فيه يوم لا يرى فيه الا الذل والبؤس في هذا السجن فيقول

" وقد قادتني تجربة السجن الى الخلود بالنفس ساعات من الذهن الفراغ وظلام الليل دورا فعالا في اثارة الأحاسيس اشغال العواطف باءطاقة الى الألم النفسية والجسمي عنها كان للواقع السياسي والا عنها في الخطر والمعتقلات والسجون والمثال الدائم والموت ولاعدام

– فيقول اليها المسجد في اقصى الحدود

افما من هنا القيود

أفترفي العيش في هذه

افما ثرت على دنيا[1]

بعد أن تعرفنا عن المعنى العام لشعر السجون نتطرق الآن إلى دراسة ألفاظ الحزن في قصيدة "عذاب الزنزانة" وأبعادها الدلالية والجمالية والفنية والبلاغية والذي صنفناها جزء أول في عملنا هذا

5– ألفاظ الحزن وأبعادها الدلالية والجمالية في قصيدة "زنزانة العذاب"

نشير بداية إلي أن المعني (الدلالة) قد عرف تطورات وتغيرات مختلفة عبر التاريخ وتنوع تعاريفه وتحديداته تبعا الباحثين من لغة وفلسفة ومنطق وغيرها فالأصل في الدلالة هي التجريد والذهنية لكن هذه الدلالة الذهنية انبثقت في أصلها الأول من الشكل الحسي الظاهر للأشياء والألفاظ ثم مع التطور الفرد الإنساني جري الانتقال من الدلالة المعنوية العقلية المجردة .

هذي القصيدة هي ثاني قصائد ديوان (اللهب المقدس) وعنوانها زنزانة العذاب رقم 67 (بنت الجزائر أهوى فيك طلعتها) وقد كتبها الشاعر في ظلمات سجن بربروس الذي ساقته إليه زبانية الاستعمار يوم 1955/4/28 وهو تشوق في القصيدة إلي حبيبته سلوى أن ابرز ما شدنا في شعر مفدى زكريا هو تلك الطاقة الشعرية الكبيرة إلي تنم عن موهبة زاهرة وشاعرية معطاء وجوادا تجسدت في التعبير ما يختلج روحه من معاناة وهو في السجن باعتبار أن الديوان نظم خلال سنوات اعتقاله .

[1]– المصدر نفسه، ص155.

ونلحظ ان الألفاظ ذات الدلالة الحسية والتي تميزت بأبعاد مختلفة ومتنوعة نتطرق بداية الى دراسة الابعاد الدلالية والجمالية التي ميزت هذه الالفاظ والتي انقسمت الي قسمين : ألفاظ تدل بشكل مباشر على الحزن وبين ألفاظ تدل عليه بشكل غير مباشر .

لقد تميزت القصيدة بوجود جملة من الألفاظ التي ظلت على مدى القهر الذي كان يعانيه الشاعر بين حيطان الزنزانة والألم الذي سكن قلبه واستوطن روحه فعبر عن هذا الألم الذي كان يقطع نفسه بعدد من الكلمات والألغاز التي دلت عن هذا القهر فكان لكل لفظة دلالات مختلفة عن غيرها من الألفاظ الأخرى وهذا أكثر ما ميز القصيدة وأبرز ما استعان به الشاعر للاستحواذ والسيطرة عن ذهن وتركيز القارئ المتلقي من هذه الألفاظ والتي كانت لها أبعاد دلالية وجمالية في البناء اللغوي نجد قول الشاعر في البيت التالي:

سيان عندي مفتوح ومنغلق * يا سجن بابك أم شدت به الحلق**[1]

اني بلواك في ضيق ،وفي سعة وقت كأسك لا حقد ولا حنق

أنام ملء عيوني ،غبطة ورضى. على صياصك لا هم ولا قلق

نجد إن مفردتي (مفتوح*منغلق) وهي تعني انفتاح السجن وانغلاقه وفي كلمة السجن وهو مكان الذي نجد فيه التعذيب والإهانة وفي كلمة الحلق وهي على سبيل دلالة وهي شدة الغلق كذلك دلالة عن كل ما يحويه المعنى من احتقار وتعذيب عاشه الشاعر وراء أسوار وقيود المستعمر حيث خضع لكل أنواع العذاب الجسدي والنفسي الذي تمثل في ابعاده عن احبته وأهله وكل ما يتعلق ب حريته فكان هذا الاستحواذ والسيطرة الوحشية سبب عذاب والم الشاعر

فأسلوب التضاد الذي وصفه جاء متوافقا وحالة الشاعر المتخلخلة وهذا ما أحدث إيقاعا موسيقيا عذبا نلمسه من خلال قراءتنا لهذا البيت الشعري ،والذي عبر فيه الشاعر عن اقراره العميق للعدو بأنه غير مبال بأهوال عذابات السجن فلا نلمس جسده الذي انهكته الجراح ولا شوقه المتأجج لملاقاة أهله ولا تذكرت لما يعانيه المسجون ،وهذا ما دفع الشاعر إلى استعمال جملة من المتضادات والتي اتخذها سبيلا للتعبير عن ما يخالج شعوره ومكونات صدره من معاناة والتي تمثلت في السجن الذي عاش بين حيطانه .

وكما نجد أيضا قي قوله:

[1] مفدي زكريا، اللهب المقدس، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية–الجزائر، ط:2007، ص25.

أم السياط بها الجلاد يلهبني * أم خازن النار يكوني فاصطفق**[1]

نجد أن (السياط *الجلاد يلهبني) كلها كلمات دالة على حزن والأليم للشاعر فهو يصف حالته وهو بتعرف للتعذيب عن طريق السوط والجلد الذي أكل وأنهك جسده وقوته وأما الشطر ثاني من البيت في (خازن النار يكويني اصطفق) تدل على شدة الألم والعذاب الذي لاقاه في تلك الزنزانة من احتقار كونه دافع عن ونه ولغته وعروبيته فكان عقابه أقسى واقوى من الضرب والعنف الذي أكل قوته ،فكان حرمانه من أحب شيء له وهو اعاده عن من أهم اهم من روحه والذين ضحى بحريته في سبيل عيشهم براحة وحصولهم على غمضة عين مطمئنة.

وكما نجد أيضا في قول الشاعر:

والحوض حوض وان شي منابعه* القي إلي القعر أم اسقي فأنشرق** [2]

نجد أبعدها الدلالية في شطر الثاني وهي (ألقى القعر) بمعني انه إلقاءه في بئر عميق ومظلم وكما نجد أيضا السقي بمعني يريد آن يشرب الماء لتشرق روحه ويروي ظمأه

وفي البيت الأخر نجد:

سري عظيم فلا التعذيب يسمح لي ***نطقا ورب ضعاف دون ذا نطقوا[3]

التعذيب في البيت تدل بعدا دلاليا على الضرب وجوع والعطش وكل انواع التعذيب الأخرى التي يمكن أن يحويها السجن وكل من هم داخل زنزاناته لكن رغم كل هاته الآلام التي عاشها الشاعر مفدي زكرياء إلا أنه كان صبورا محافظا على الحب والأمانة في ذاته ،مقديا لوطنه عاشقا لأمته ولغته إذ وجد نفسه أنه لا يستطيع أن ينطق عن بلاده شئ أم كلمة الضعاف فهو قصد بها الأشخاص الذين خانوا بلادهم ووطنهم وكل ما يملكونه مقابل المال

وفي بيت آخر نجد :

[1] المصدر نفسه، ص25.

[2] المصدر نفسه، ص25،

[3] مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص25.

يا سجن ما أنت لا أخشاك تعرفني * من يحذق البحر لا يحذق الغرق**[1]

السجن تعني انتهاء الحياة وتقييد حرية الشخص ومنع كل حقوقه كمواطن سواءا أن كان ذلك من الناحية النفسية ام الاجتماعية أم غيرها ويمكن أن يكون لها مدلولات آخرى منها إنها أن السجن هو وجود السجين بين أربع حيطان مقيد والحيوان الوحشي معرض لكل أنواع الذل والتعذيب ولهذا فنجد كلمة الغرق التي وصفها الشاعر والتي دل بها عن يأس الشاعر وتحطمه وانكساره في جميع النواحي فنجده هنا الشاعر يخاطب السجن ويخبره عن أنه لا يخشى ما سيمر به داخله وان السجن كان بمثابة محل للصراع الذي سيخوضها الشاعر مع نفسه وذاته أما أن يخرج منتصرا رابحا وأما أن يكون فريسة للعدو الذي ينتظر الفرصة لكي ينقض على فريسته والقضاء عليها بلا رحمة ولا شفقة.

كما نجد أيضا في قول الشاعر هي:

يارب عجل بنصركم وعدت به * فإن بابك باب ليس ينغلق**[2]

عجل تدل على مناداة الذات الإلهية لكي تخفف عنه الألم كذلك تدل على إيمانه القوي بالله تعالى وأن النص حليفة الذي يحققه قريبا فهو رغم ما عاشاه لم ييأس من رحمة الله ولم يفقد الأمل في الخروج من قبضة العدو ومن أسوار السجن رابحا لمعركة كبيرة كان عنوانها الاساسي هو حب الوطن مقدس والموت في سبيل وطننا فوز عظيم كذلك نجد أن الشاعر قد وظف في هذا البيت كلمتي (باب * منغلق) وهو ما يدل على أن الشاعر كان بين أربعة حيطان داخل غرفة مظلمة موحشة لا نور فيها ولا ضوء بيبانها مغلقة مقيدة بالحديد الذي لا مفر من صداه.

وكذلك في البيت الأخر هي:

وأنت يا سجن لو افلت ناصيتي ***رأيتني لخطوط النار اخترق[3]

[1] المصدر نفسه، ص25.

[2] المصدر نفسه، ص25.

[3] الصدر نفسه، ص25.

نجد كلمة السجن يدل بعدها الدلالي على قوة وإصرار والتحدي الي خاضه الشاعر مع الزنزانة الموجود داخلها فهو يخاطب الشحن على أنه لن يستسلم رغم ما يعانيه من عذاب من طرف العدو القاسي وهذا ما يدل على القوة والشجاعة والرجولة التي تميز بها الشاعر مفدي زكرياء وأما في شطر ثاني من البيت (رأيتني الخطوط النار اخترق) وهي تدل على كفاح الشاعر وذكرياته الحزينة الذي قاضاها داخل أسوار هذا السجن التعيس .

في البيت الآخر نجد:

إني بلوتك غي ضيق وفي سعة * وذقت كأسك لأحقد ولا حنق**[1]

بلوتك مشتق من كلمة البلاء والكلمة الضيق تدل على الضيق النفس الذي يشعر به الشاعر في السجن وكذلك في شطر الثاني ذقت كأسك يقصد بها الألم والحزن والعذاب الذي وجدها في المساجين وكلمة(الحقد والحنق) يقصد بها الحقد على السجن وفرنسا.

وفي البيت الآخر:

سلوى أناديك سلوى مثلهم خطا * لو أنهم أنصفوا كان اسمك الرمق**[2]

نجد كلمة الرمق تدل بعدها الدلالية يقصد بها بقية من الحياة والروح وأخر النفس وكان طيف حبيبته سلوى يشبه بقية من روحه.

وكذلك البيت آخر نجد فيه البعد الدلالي:

يا فتنة الروح هلا تذكريني فتي * ما ضره السجن إلا أنه ومق**[3]

نجد كلمة فتنة دلالة على الشدة والضيق والهم الذي كان يعيشه مفدي زكرياء في السجن وكذلك كلمة ضره تدل على ألم السجن ومعاناته التي أهلكت بجسد ونفسية الشاعر والتي أدت إلى دماره وانهياره الكلي .

كذلك نجد قوله :

[1] مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص26.

[2] المصدر نفسه، ص26.

[3] المصدر نفسه، ص26.

الليل يكتم في ظلمائه شجا * يأوي إلي شبح ضاقت به الطرق**[1]

فالليل لفظة قصد بها حاله المظلم والطويل الذي لم يذق فيه طعم الراحة ولا الاطمئنان على كثر ما انهكه التفكير والشوق في من تركهم خلفة من أهل وأحبة والفراق عذب روحه وعصر قلبه .

كلك نجد في البين نفسه كلمة ظلمائه وهو يقصد به رداء أسود كثيف يغطي كل ما يحمله المستقبل من جمال وأمل في الغد وكلمة شبح تدل على ما يحمله داخله من هموم ومخاوف ورعب من السجن والذي تجسد له على شكل شبح وكلمات (ضاقت به طرق) وهي ضيق نفس الشاعر ما قاساه من رعب وخوف فهذه الألفاظ دلالة على خوف زكرياء من كل ما يحيط به وكل ما ينتظره من تعب وإرهاق نفسي لم يجد به بعد فهو يعلم أن ما هو قادم ليس بعين خاصة وأن من يواجهه عدو قوى قوته هي السلاح عكس الشاعر الذي لم يكن له حل غير الصبر والتحمل المشاق والألم .

في البيت الآخر نجد:

وان جفاني ذو القربى فلا عجب * وان النبوة في أوطانها خرق**[2]

جفاني وهو عتاب يقدمه لقومه ولشعب وطنه الذين تركوه في السجن وخرق وهي تدل على أنه موجود في وطنه وبين شعبه إلا أنه تعرض لأشد أنواع التعذيب والتجليد وكذا تعرضه لكل أنواع الذل والإهانة والاحتقار.

نجد أيضا قول الشاعر:

لازلت أرعي لهم عهد وان بقيت ** مثل المدى من جفائهم في الحشى حرق[3]

فنجد أن الشاعر قد وظف مفردة (جفائهم) والتي تدل على الألم الذي عانى الشاعر بسبب تركه وحيدا بعيدا عن كل ما يقربه (الأهل ،الاحباء ،الاصدقاء ....) وكذا نجد توظيفه للفظة (الحشى) في السجن هي تدل على الألم جفاء في قومه.

[1] المصدر نفسه، ص27.

[2] مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص31.

[3] المصدر نفسه، ص31.

سيذكرون إذا الليل الرهيب سجي * وجلجل الخطب إني في الدجى قلق**[1]

الليل فشبهه بالظلام في حياته وبرهبته وما يثه من هول وشجن وحزن وكما في كلمات (جلجل الخطب) تدل على وقع شديد وخطب تدل على فزغ وأيضا (الدجى القلق) فالدجى تفوق وهي الظلمة والسواد والقلق تدل على مسندة للدجى.

كما نجد في البيت الآخر:

حسبي وحسب أناسي أن عدوت لهم * عود يعطرهم ذكرى واحترق**[2]

احترق وهو يقصد بها عذاب السجن وألمه وألم الفراق الذي سببته قيود المستعمر والتي أبعدته عن ناسه فكانت ذكراهم والشوق الكبير الذي يكنه الشاعر لهم هو السبب الأول الذي أحرق الشاعر وقهر قلبه وآلم روحه فالعذاب الداخلي الذي كان يصارعه زكرياء كان أقوى بآلاف المرات من العذاب الذي كان يتحمله جسده...

6- أنماط الحزن وأبعادها الجمالية:

إن شعر السجون ممتد منذ العصور الأدبية الأولى، فهو قريب من القضايا الحياتية المصيرية والتي تهم الشأن العام، السياسية منها والاقتصادية والفكرية والاجتماعية والقانونية والفكرية ...، والكثير من المعطيات التي طرحت على الساحة خصوصا الأمور الفكرية وعلاقتها بالديمقراطية والعدل والمساواة ...، ويعتبر السجن موطن في غاية الضيق ومحكم بالسدود والقيود إلا أن النتاج الادبي فيه ينسب إليه لعلاقة السبب بالمكان، وشرطه أن يكون الشاعر سجينا حقا ينظم شعره في السجن لا خارجه.

ونجد الشاعر مفدي زكريا قد عبر عن آلامه وآلام شعبه وحقه وحريته من خلال ديوانه اللهب المقدس الذي نظمه أثناء حبسه في سجن بربروس، فعندما تناولنا قصيدته "زنزانة 67" نجد أن الشاعر قد يعرض لنا ما تعرض له من أنواع التعذيب في سجنه ويخلد لفترة مريرة عاشها كل شاعر أثناء وجوده في السجن، لكن هذا كله لم يمنعه من إبداع قصائد وروائع تغنى بها عن وطنه آملا في الحرية والسلام.

[1] المصدر نفسه، ص31.

[2] المصدر نفسه، ص31.

نجد الشاعر من خلال قصيدته أن يعبر عن نفس غريبة موصدة بين جدران الزنزانة، و لم يكن محدودا بنقل الكلمات والعبارات إنما هو إفادة من الحالة العاطفية، يقول في قصيدته من البحر البسيط:

سيان عندي مفتوح ومنغلق * يا سجن بابك شدت به الحلق**

أم السياط بها الجلاد يلهبني * أم خازن النار يكويني فيصطفق**

والحوض حوض وإن شتى منابعه * ألقى إلى القعر أم أسقى فأنشرق**

يا سجن ما أنت؟ لا أخشاك تعرفني * من يحذق البحر لا يحدق الغرق**

إني بلوتك في ضيق، وفي سعة * وذقت كأسك، لا حدق ولا حنق**

أنام ملئ عيوني غبطة ورضى * على صياصك، لا هم ولا قلق**

طوع الكرى وأناشيد تهددني * وظلمة الليل، تغريني فانطلق**[1]

نلاحظ أن الأبيات ترينا صورة حزينة بمكان خاص يموج بألوان العذاب وبألفاظ الحزن من (سجن، الحلق، السياط، الجلاد يلهبني، خازن النار يكويني فاصطفق، ألقى إلى القعر، أسقى فأنشرق، التعذيب، الغرق، ضيق، أنام ملئ عيوني غبطة، ظلمة الليل)، كل هذه الألفاظ تشكل صورة للسجن وللحزن والألم، لكنها في نفس الوقت تؤدي هذه الألفاظ وظائف جمالية في البناء الفني للقصيدة فالشاعر مفدي زكريا بدا متحديا عنيدا لا يأبه الآلام ولا يستشعر بالغربة، ولا يأبه بعذاب السجن مهما كان مؤلما وذلك بتجاهله ما صادفه في السجن من بشاعة التعذيب، مبرزا عزة ذاته وقوتها والتباهي بنفسه وشعبه ووطنه، ووصف ذلك الألم كأنه طبق على الغير وكأنه لم يطبق عليه بتاتا[2].

ويواصل الشاعر في حديثه عن تجربته القاسية وألمه في السجن مستعملا التكرار مثل تكراره للفظة "سجن" و "النار":

وأنت يا سجن.. لو أفلت ناصيتي * رأيتني، لخطوط النار أخترق**

[1] مفدي زكرياء، اللّهب المقدّس، ص: 25

[2] ينظر: لعوش سعاد، شعرية الخطاب في شعر السجون "اللهب المقدس" لمفدي زكرياء "أنموذجا"، مذكرة ماستر تخصص أدب عربي حديث، إشراف: شاكر لقمان، جامعة العربي بن مهيدي- أم البواقي، 2012/2011، ص37.

وتكرار هذه الألفاظ الحزينة يدل على استمرار وكثرت الألم والتعذيب والمعاناة في السجن، وله أيضا دلالات شعورية وأبعاد نفسية، غير أن الشاعر مفدي زكريا يخفف من آلامه وعذابه بالتحدي وعزة النفس والشموخ مثل ما ورد من ألفاظ (ناصيتي، رأيتني لخطوط النار أخترق...) متحديا بذلك الممارسات الاستعمارية، وأعطت هذه الألفاظ الحزينة صورة عن ما عاشه الشاعر في سجنه ليرسم في ذهن المتلقي صورة تشخيصية لعدوانية المستعمر الفرنسي وقوته وعزّته وهذا ما أعطى للقصيدة بعدا جماليا وحسيا يشعر به المتلقي وتؤثر فيه.

وقد استعمل الشاعر ألفاظ الحزن في أساليب إنشائية تعكس إبداعه الشعري وتوجهه الرومانسي في القصيدة، وتبرز معاناته ووحدته في السجن مثل ما جاء في البيتين:

يا سجن، ما أنت؟ لا أخشاك، تعرفني * من يحذق البحر، لا يحذق به الغرق**

يا رب.. عجل بنصر كم وعدت به * فإن بابك، باب ليس ينغلق**

وشمل هذين البيتين على نداء واستفهام ونفي مبرزة هذه الأساليب نبرة التحدي التي جاء بها الشاعر ورفضه القاطع للمستعمر، فأسلوب النداء جاء ليعبر عن مشاعر الشاعر وصدق أحاسيسه للتخفيف من ألمه وعذابه بعيدا عن التكلف ومناديا ربه في دلالة على أن الشاعر متمسك بالله عز وجل ومؤمن به وبالشريعة الإسلامية.

فتوظيف هذه الألفاظ والأساليب الإنشائية تزيد المعنى وضوحا وجمالا وتألقا في أبيات يصور فيها الشاعر ألمه ويعكس ما عاشه في الزنزانة تحت وطأة التعذيب والضغوطات.

وينتقل الشاعر من الحزن والألم إلى الفرج والحياة عبر استذكار حبيبته سلوى ومحاولة تغيير واقعه البائس في قوله:

سلوى أناديكي سلوى مثلهم خطأً * لو أنهم أنصفوا كان اسمَك الرمق**

يا فتنة الروح هلا تذكرين فتى * ما ضره السجن إلا أنه ومق**

والليل يكتم في ظلمائه شبحا * يأوي إلى شبح، ضاقت به الطرق**

ففي هذا الاستذكار لماضيه مع سلوى يحاول الشاعر أن يخفي معاناته وينقلنا إلى لحظات حبه مع سلوى في صورة فنية رائعة تتشكل في ذهن المتلقي، وكأن طيف حبيبته يشبه روحه التي تصارع الموت، ليرسم لنا جوا خاصا بالتعبير الخيالي وبعاطفة صادقة وألفاظ حزينة مؤثرة ومكررة تهم الشاعر تعبيرا منه على تجربته الذاتية في السجن.

ورغم أساليب التعذيب الكثيرة إلا أن ذلك لم يمنع الشاعر مفدي زكريا من الإبداع في قصيدته بواقعها الصريح وبطولاتها الأسطورية وأحداثها الصارخة تبرز إرادة الشعب مستغلا في ذلك الألفاظ الحزينة التي نبعت من تجربته المريرة على غرار (الليل، شبح، ضاقت، الرمق، فتنة، ضره، أحترق) فعذابه في السجن كبير جدا ومؤلم، والقصيدة جاءت موحية بالحالة النفسية للشاعر وذلك لما حملته الألفاظ الحزينة من دلالات وإيحاءات على الهم والعذاب والشدة.

وما زاد القصيدة جمالية هو أن الشاعر لم يكلف نفسه في الانطلاق في التعبير على قسوة الجلاد ووحشية السجن وكبح جميع عواطفه الحزينة مبينا لنا صموده أمام جميع أنواع التعذيب فهو لا يعبر عن آلامه ومعاناته فحسب، بل نجده متفائلا غير مبالي بمعاملة المستعمر له.

وجاءت لغة القصيدة غنية ومتضمنة مسائل جمالية وقيم أسلوبية وخصائص إبداعية، منها التضاد مثل (مفتوح، منغلق)، فالحزن هو من أبرز المضامين الشعرية التي حفلت بها دواوين الشعراء المحدثين وهو يعكس مدى انفعال الشاعر واستجابته لما يدور حوله من أحداث، وأضافت ألفاظ الحزن إلى التجربة الشعرية آفاقا جديدة زادتها ثراء وخصبا، وولّدت طاقات تعبيرية لها أصالتها وقيمتها.

ليختم الشاعر قصيدته بقوله:

حسبي، وحسب أناسي، أن غدوت لهم * عودا، يعطرهم ذكري وأحترق**

ليبين فيه مدى التعب والإرهاق الذي أصابه من فضفضته لأحزانه في القصيدة مختتما إياها بكلمة أحترق دلالة على حجم المعاناة والألم الذي عايشه ومأساة السجن خلف القضبان، مما يجعل القصيدة مليئة بالعواطف في نفس المتلقي عبر ألفاظها الحزينة والأساليب الإنشائية والتكرار وغيره من العوامل التي جعلت منها في غاية الجمال والروعة والدقة في التعبير والوصف والخيال رغم واقع الشاعر المؤلم أثناء فترة سجنه وحال الوطن في تلك الفترة.

الفصل الثاني

الأبعاد الفنية والبلاغية لألفاظ الحزن في قصيدة "زنزانة العذاب"

اعتبر مفدي زكرياء السجن نعمة لا نقمة وكان الموجود داخل السجن أهنئ من الموجود خارجه ،وهو ما نلاحظه من خلال ترديد لكلمة السجن أكثر من مرة وهو تعبير لا ارادي عن الاعتزاز والافتخار بهذه التجربة ،فكان السجن بالنسبة له مدرسة التي سيطبق فيها كل ما حفظه من نظريات سياسية وما نادى به من شعارات وطنية ،واقعا مريرا يعتبر فيه صلاحية نفسه وقدرتها على الصبر والاحتمال وما جاء في رسائله التي كان يبعثها من السجن تدل على أنه عانى معناة قاسية في بربروس حيث اصيب بمرض الزمن دخول المستشفى ففي السجن يصطدم الإنسان بأعسر اختبار يسلب منه اغلى ما يملك وهي حريته ،قد يصبر المرء على التعذيب والذل والإهانة رغم فضاعتهما إلا أنه لا يستطيع صبرا على حريته و التطلع إلى محياها حيث يسترخي في سبيلها كل ما يملك وكل ما هو غال.

1- ألفاظ الحزن ودلالتها الفنية والبلاغة في قصيدة مفدي زكرياء:

يمكن القول أن الدلالة الفنية هي صورة فنية استطاع من خلالها الشاعر أن يكشف عن مختلف التناقضات التي تحيط به، فهي مصدر التجارب والانفعالات النفسية، والتي عبر عنها مفدي زكرياء من خلال قصيدة "زنزانة العذاب" بقالب إنشائي، بحيث كشف من خلالها عن الحقائق النفسية والذاتية والتي زادت شعره قيمة جمالية وإبداعية زادت القصيدة حلاوة وروعة في نظره الجمهور المتلقي إذ أن هذه الدلالات الفنية لألفاظ الحزن والتي جاءت في القصيدة التي بين أيدينا كتفسير معمق بمعانيها ودلالات وما تشير إليه من إيحاءات وأهداف مقصودة أي أن حضورها خلال ...يكمن إدراكه من خلال العمل الفني الإبداعي للشاعر.

ويمكن أن نلاحظ أن الشاعر من خلال قصيدته عمل على توظيف الألفاظ الدالة على الحزن بطريقتين فمنها من أتى بها بطريقة مباشرة وأخرى غير مباشرة فنجد مثلا الألفاظ التالية (مفتوح، منغلق، النار، التعذيب، الغرق، سجن، يكويني..).

هذه الألفاظ التي وردت في عدد من أبيات القصيدة والتي قال فيها الشاعر :

سيان عندي مفتوح ومنغلق * يا سجن بابك ام شدت به الحلق**

أم السياط بها الجلاد يلهيني * أم حارق النار يكويني فأصطفق**[1]

[1] قصيدة "زنزانة العذاب"، ص٢٥.

حيث تجلت لنا الدلالة الفنية لهاته الألفاظ كونها قدمت لنا بأسلوب إنشائي والتي عمل من خلالها على إيصال ما في نفسه من عواطف وإحساسات للقارئ المستقبل في قالب خطابي مؤثر.

كذلك نجد أسلوب التضاد الذي وضح من خلاله الشاعر حالته النفسية المرهقة بحيث عمل هذا الأخير على الأحداث نغمة وإيقاعا موسيقيا إذ عبر به الشاعر مفدي زكريا عن شجاعته وعدم هيبته من العدو ولو كان التمني هو عذاب السجن وحرمانه من أهله وأحبته ولما يعانيه من دمار قهر فؤاده وعذب صميمه، فأورد في قصيدته جملة من الألفاظ المتضادة والمتناقضة بينها والتي صور بها حالات الحزن واليأس والتي تمثلت في شخصية الشاعر المليئة بالشكوى والأنات إضافة إلى كونه بين من خلالها العواطف والمشاعر التي يعيشها من حب وصدق كمنافس لمشاعر الألم والعذاب الذي يعيشه من طرف العدو.

كذلك نجد ألفاظ أخرى جاءت متناقضة فيما بينها كقوله: متسع، ضيق.

إضافة إلى هذا نجد الأساليب الإنشائية والتي وصفها الشاعر في قصيدته التي تنوعت بين أسلوب الاستفهام وأسلوب التعجب.

والتي عبرت عن الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر بصورة واضحة حيث عملت هذه الأساليب على نقل مشاعره بأمانة وصدق فكان هذا هو الهدف الرئيسي لهذه الدلالات حيث زادت القصيدة قوة في التأثير على ذهن المتلقي والسيطرة على أفكاره.

نجد قول الشاعر:

يا سجن ما أنت؟

يا سجن، بابك أم شدت به الحلق

هل تذكرين إذا ما الحظ حالفنا؟[1]

بحيث كونت هذه الأساليب الإنشائية إيقاعات موسيقيا يتماشى مع مشاعر الشاعر مفدي زكريا والتي كانت هي بذاتها مصدر الحزن الذي يعاني منه هذا الأخير جراء التعذيب والإهانة التي تعرض لها من

[1] القصيدة، ص٢٥.

طرف عدوه والتي تحمل عذابها لأنه لم يقارن بالعذاب الذي عاناه نتيجة احتلال وطنه ورأيت ما واجهه أهله وأصحاب وطنه من قتل وتشرد وجهل وتدمير.

كذلك نجد قوله:

أم السياط بها الجلاد يلهبني * أم خازن النار يكويني فأصطفق**[1]

فهنا أسلوب إنشائي تمثل في الاستفهام والذي وصف من خلاله مفدي زكريا العذاب الذي قضاه داخل الزنزانة المظلمة من ضرب وجلد على ظهره والذي عبره بألفاظ (السياط، الجلاد، يلهبني).

وهذه ألفاظ دالة على حزنه العميق وشدة الألم الذي عاشه داخل تلك الزنزانة ، فكان لهذه الدلالات والتي جاءت ضامنة فيها تحويه هذه الجمل الإنشائية تعبير فني ذات قيمة جمالية إبداعية ساعدت الشاعر مفدي زكريا على التعبير عن مكنونات صدره بحيث وجد فيها الشاعر إيقاعا فنيا ونغما موسيقيا متكاملا ذات دلالة فنية هدفها الأساسي تقوية مضمون الكلام كذلك نجد أن الدلالة الفنية للأسلوب الإنشائي قامت على التكرار اللفظي الذي وظفه الشاعر في قصيدته هاته فنجد مثلا لفظة (السجن) مكررة أكثر من مرتين داخل قصيدة فكان هذا الأخير كمظهر من مظاهر الإقناع الذي اعتمد عليه مفدي زكريا للسيطرة على ذهن القارئ إضافة إلى تكرار أساليب الإنشاء والتي تمثلت بصورة بالغة في الاستفهام والذي كان دوره واضحا في الإيضاح والبيان وتأكيد المعنى ومن هنا فقد كان التكرار من الدلالات الفنية للأساليب الإنشائية التي وصفها الشاعر في قصيدته المعنونة بـــ"**زنزانة العذاب**".

2- الأبعاد البلاغية في القصيدة

تمهيد:

البلاغة هي من أهم العلوم التي وضعت في البحث وقد ساهمت فيها بنصيب كبير: علم البلاغة، علم الذوق والجمال، والفن الأدبي ولها الفضل الكثير في بيان الأسلوب وتراكيب اللغة وامتاز به من قوة وجمال ورونق في اللفظ والمعنى والعاطفة والخيال، ومن خلال هذا نتطرق إلى تحليل قصيدة زنزانة العذاب لمفدي زكريا لأبعاد بلاغية.

[1] القصيدة، ص٢٥.

أولا: البديع

نجد من المحسنات البديعية المحسن المعنوي طباق الإيجاب في: مفتوح # منغلق، ضيق # سعة، يباع # يشترى، أيسروا # عسروا، حيث أنه زاد المعنى قوة وجلاء ووضوحا.

كما نجد من التناص الاقتباس الرائع في قوله: أنام ملء عيوني غبطة ورضى فهذا مقتبس من قول المتنبي وهو يفتخر بنفسه وقوة شعره وغرائب ألفاظه التي يقولها ويترك غيره يتخاصمون في معانيها: أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم حيث يظهر براعة الشاعر في حسن توظيفه للاقتباس كأحد أنواع التناص.

ثانيا: علم البيان (الصور البيانية)

إن الصور البيانية من أهم ما يتميز به الشعر العربي فهي من أهم الصفات الجمالية التي يوظفها كل شاعر في قصائده ليزيدها حسنا ورونقا وإيقاعا وذلك كي يتمكن من لفت انتباه الجمهور والمستقبلين لشعره عن طريق حلة جديدة يكسوها طابع جمالي خلاق وهذا ما لم يختلف فيه الشاعر "مفدي زكرياء " في ديوانه عامة وفي قصيدة "زنزانة العذاب " خاصة فهو أيضا لم يبخل ديوانه من هذا الطابع حيث وضع فيه بصمة خاصة ما زاده إثارة وتشويقا ولهفة للقراءة والاطلاع عليه من طرق المتلقين فنوع الشاعر في قصيده بين التشبيه والاستعارات والكنايات التي منحت المعاني دلالات وايحاءات أخرى تذهب بالذهن إلى أبعد مدى وهذا لما تحمله من جمالية وحسن للنص الشعري فمن خلال قراءتنا لقصيدة "زنزانة العذاب" نلمس حرص الشاعر على تشخيص الصورة البيانية ،ومحاولة إظهار الحقيقة للسامعين وذلك عن طريق أشكال وألفاظ مادية ملموسة فهي تجعل الشعر أقرب للفهم، أيضا تبعث في القارىء نشوة وتفجر فيه انفعال.

فعند قراءتنا لقصيدة "زنزانة العذاب " نجد جملة من التشبيهات التي وظفها الشاعر والتي قصد فيها إلى توظيف التشبيه البليغ فنجده جسد هذا النوع الأول في قوله:

ورتليها تسابيحا مقدسة، ومن أشكال التشبيه البليغ أن يضاف المشبه إلى المشبه به مثل: في معبد الحب، أي أن الحب مقدس كالمعبد. موج الموت، أي الموت كالموج[1] (حيث شبه الموج في شدته وقوته بالموت التي تفتك بالنفوس) حذف الأداة ووجه الشبه وتكمن بلاغته في جعل المشبه هو نفسه المشبه به منا يزيد المعنى

[1] مفدي زكريا، اللهب المقدس، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص 25-26-27.

قوة ووضوحا وجمالا والتشبيه التام في قوله: أنفاسك الطهر كالصهباء تغمرني دفئا، إذ شبه أنفاس محبوبته سلوى وعبيق أنفاسها الطاهرة كالخمرة التي تملأ شاربها دفئا ونشوة وقد أكثر كذلك من التشبيه التمثيلي مثل قوله: ثارت على الظلم مثل السيل جارفة إذ شبه الثورة في قوتها ضد الاستعمار كالسيل الجارف المدمر لكل ما أمامه وكذلك قوله: جند يباع ويشترى مل ماشية[1]، أحبها مثل حب الله.

ثالثا: الكنايات

إضافة إلى ما ذكرناه سابقا على أن الصور البيانية من أهم الجماليات التي تضاف إلى النصوص لتزويدها بهاء وإطلالة قوية تؤثر على مشاعر القارئ وتقود إلى عالم ثان خيالي من اختراع المؤلف إلا أن القارئ يكون هو الحكم فيه وإضافة إلى عنصر التشبيه المذكور سابقا والذي يضم تحت طياته نوع آخر من التشابيه والذي يتمثل في الكناية باعتبارها صورة بيانية المقصود منها هو إعطاء دلالة ثانية المدلول الأول أي أن التشبيه مدلول أول وهو المدلول الحقيقي وملول ثاني وهو المدلول المجازي الذي يكتشفه القارئ عند تمعنه في قراءة واستيعاب البيت الذي يضم الكناية .وهذا ما ذهب إليه الشاعر "مفدي زكرياء " في قصيدته هاته الأخيرة التي احتوت على كنايات متعددة ومختلفة نمر منها ما جاء على لسان الشاعر عند قوله:

لو أنت يا سجن وأفلتت ناصيتي لرأيتني لخطوط النار أخترق

بهذا يكون هذا البيت كناية عن صفة الشجاعة والإقدام وعدم الخوف من الموت.

وفي قوله: جيش من المرد، غلمان مخنثة، كناية عن موصوف وهو الجيش الفرنسي وأثره في المعنى أنه يقويه ويوضحه ويأتي بالمعنى مصحوبا بالدليل وقوله: لا تشغلنا بأثواب وأرغفة: كناية عن صفة الإغراءات التي كانت تمارسها فرنسا فأظهر الشاعر رفضه المطلق لمثل هذه المخططات الدنيئة. وقوله: وضع السلاح أحاديث ملفقة، و يلقى السلاح.. هي كناية عن صفة الاستسلام للعدو وفشل الثورة. وقوله: يا فتنة الروح كناية عن موصوف وهي محبوبته سلوى.وقد وظف مفدي زكرياء الكناية لما لها من أهمية في تثبيت المعنى وتأكيده.

وقد أكثر الشاعر من توظيف البيان وخاصة الاستعارات ومنها نجد قوله: لحن الموج يطربنا: شبه الشاعر الموج بالمغني وحذف المشبه به المغني وأبقى على لازمة من لوازمه وهي يطربنا على سبيل الاستعارة المكنية. واستعارات أخرى كثيرة منها قوله أيضا: يندى لها الصخر نسابق الشمس نغزوها بزورقنا يسخر الموج والليل

[1] مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص30.

يكتم في ظلمائه شبحا يسجد عندها الأفق أناشيدي تهدهدني نفرش الرمل يا سجن ما أنت ؟ لا أخشاك أم السياط بها الجلاد يلهبني إن أرتشف ثغرها يفتك بي الأرق[1]، تكمن بلاغة الاستعارة في تجسيد المعنوي أو تشخيصه. حيث يصير المعنوي كأنه مادي ملموس بقصد تقريب الصورة للذهن لتوضيح المعنى وتجليته.

وفي الأخير نخلص إلى أن قصيدة "زنزانة العذاب" جاءت غنية من حيث الاستعارات حيث وظفها الشاعر بصورة ملفتة للنظر والإعجاب في نفس الوقت كما دلت على براعة الشاعر وتمكنه في هذا المجال وقد وظف الشاعر هذه الاستعارات بهدف تقوية المعنى بحيث اكتسبت الألفاظ من خلال هذا اللون من الصور دلالات كثيرة ومعاني واسعة كان لها أثر إيجابي داخل طيات القصيدة.

رابعا: الجمل الاسمية والفعلية

نجد أن القصيدة قد امتزجت بين نوعين من الجمل التي خلط فيها الشاعر بين الجمل الاسمية والتي دل بها عن الجمود والسكون ،والجمل الفعلية والتي دلت على الحركة وهذا لكي يزيد من قوة قصيدته واثارتها ولكي يحررها من كل ما يقيدها ويمنحها حريتها المطلقة في إطلاق دلالاتها ومعانيها .

1_ الجمل الاسمية:

شملت القصيدة على جملة من الجمل الاسمية والتي أعطى بها الشاعر صفات وقوة لقصيدته فنجده مثلا يقول : الموج ينقل في أصدائه قبلا، والليل يكتم في ظلمائه شبحا، والطرف يختان لا يدري به الحدق، أنفاسك الطهر كالصهباء تغمرني .. سمراء خدرها الباري وصورها، فكل ما فيك من أوصافها خلق، أرض الجزائر في أفريقيا قدس، قلب العروبة لم يعصف بنخوتها عسف، إني رأيت أخاك البدر ذا ثقة.

فهذه الجمل الاسمية التي وظفها الشاعر لم تكن هباءا بل كان لها مقصدا هاما والذي تمثل في الدور الذي تقدمه في احياء القصيدة ونهوضها ،والشاعر استعان بها ليعبر من خلالها عن ما يعانيه من قهر وألم إلا أنه لم يشكي لأحد فكان كل ما يقدر عليه هو الصمت والصبر على العذاب الذي يعيشه بكل قوة وتحدي وهو دليل على سكون وثبات الشاعر .

[1] نفسه، ص25-26.

٢- الجمل الفعلية:

لا اختلاف في الأهمية التي تمكنها الجمل الفعلية في قيام القصيدة و وقوتها فالشاعر وظف هذا النوع من الجمل ليخرج من خلالها عن كل ما يحتجز داخل نفسه من عذاب فهاته الحمل الفعلية كانت وسيلة لإيصال رسالة الشاعر لشعبه ووطنه ولكي يعبر عن حبه الكبير لهما فبها استطاع هذا الأخير إفراغ كل ما يحويه قلبه من كلمات باتت مكبوتة داخله والتي استطاعت التعبير عنها عن طريق هذا النوع من الجمل ولعل أهمها ما احتوته القصيدة فنجد مثالا عنها قوله:

إن أرتشف ثغرها يفتك بي الأرق، سلوى أناديك، سلوى هل تجاوبني؟، ردي على أهازيجي موقعة، فقد أعارك وزنا قلبي الخفق، ورتليها تسابيحا مقدسة، في معبد الحب يسجد عندها الأفق يرنو إليه كلانا حين يتسق، نادى المنادي إلى التحرير يدفعها، فاستصرخت في قيود الحجر تنعتق ثارت على العلم مثل السي[1].

[1] مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 25-26-27.

خلاصة الفصل :

لقد كانت قصيدة "زنزانة العذاب" بمثابة رسالة كتبها الشاعر لشعبه ،عبر من خلال كلماتها عن مدى الحزن والألم والعذاب الداخلي والجسدي و الذل الذي عاناه من طرف العدو والذي لم يبخل على جسد الشاعر مفدي زكرياء من ترك بصمة السياط والجلاد على لحمه .فهذا الأخير الذي تحمل جل هذا العذاب بصمت وصبر علما أن لا منقذ له من قبضة هؤلاء الحيوانات البشرية غير الله تعالى فكان كل أمله في ربه طالبا من المولى النصر والفوز والتحرر من أسوار السجن ومن بطش المستعمر،فكان لهاته الكلمات والألفاظ الحزينة تأثير واضح على نفسيته عبر بها عن مدى اشتياقه وحنينه لوطنه وشعبه عموما ،والى أحبته وأهله وأصدقاؤه خصوصا فجاءت هذه القصيدة رسالة حب للشعب الجزائري كتبها زكرياء بدمه و بسم عليها بإخلاصه وفناءه لبلد العزة والإكرام.

خاتمة

خاتمة:

- من خلال بحثنا في هذه الدراسة والتي ذهبنا فيها لقراءة وتحليل الأبعاد المتعلقة بألفاظ الحزن في قصيدة زنزانة العذاب للشاعر مفدي زكرياء جعلتنا نقف على النتائج التالية:
- شعر مفدي زكرياء زاخر بالإبداع والثورة والاحساس فكان معلما لحب الوطن وحبه ،والفناء في سبيله
- شعر مفدي زكرياء كانت له سمة بارزة والتي تمثلت في ألفاظ الحزن التي تحتوى عليها قصيدة زنزانة العذاب وهو دليل على ما عاناه من طرف المستعمر.
- الحرية يسبقها الالم واليأس وفي سبيل حرية الوطن وهب الشاعر مفدي زكرياء حياته فداءا لتحقيق حرية شعبه فجاهد وذاق طعم العذاب والمرارة القيود تحقيقا لها.
- احتوت قصيدة زنزانة عل جملة من ألفاظ الحزن والتي كانت لها أبعاد دلالية وفنية فمل كلمة خرجت بها هذه القصيدة كان لها معنى ورسالة لها معاني ومقصود فالشاعر لم وظفها بلا قصد.
- وظف الشاعر ألفاظ ذات دلالة جمالية بلاغية تمثلت في الصور البيانية التي استعان بها الشاعر من أجل إعطاء صورة جميلة بهية في ذهن المتلقي وترك أثرها في فكره .

وهنا نرفع قلمنا شاكرين الله عز وجل على فضله وعطاءه لما منحنا إياه من قوة وصبر لإتمام هذا العمل على أكمل وجه راجين منه التوفيق والسداد لما هو قادم .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1- واضح الصمد في كتابه السجون وأثرها على أداب عربية.

2- أبو الفرح الاصبهاني، الأغاني، مصورة عن دار المكتبة مؤسسة وطباعة النشر، بيروت، (د.ط).

3- محمد بن سلام الاجمحي، طبقات فحول الشعراء، قراءه وشرحه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، السعودية، د.ت

4- ياقوت الحمري، معجم البلدان، دار صادر بيروت، لبنان، 1977م.

5- طرقه بن العيد مهدي، محمد نصر الدين، ديوان بن العيد، دار الكني العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1423هـ.

6- الفرزدق، دار صادر، بيروت، ط1، 1427-2006.

7- مفدي زكريا، لهب المقدس، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2007.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحة
مقدمة	أ- ب
الفصل الأول: الابعاد الدلالية والجمالية لألفاظ الحزن في قصيدة (زنزانة العذاب 73)	
المطلب الأول: الابعاد الدلالية	
المطلب الثاني: الابعاد الجمالية	
الفصل الثاني: الابعاد الفنية والبلاغية لألفاظ الحزن في قصيدة (زنزانة العذاب 73)	
المطلب الأول: الابعاد الفنية	
المطلب الثاني: الابعاد البلاغية	
الخاتمة	
قائمة المصادر والمراجع	
الفهرس	36